نحن الجائعون أمام حقولنا...

11-11-2004

أيام تمر، سنين تمر وأعياد كثر ونحن مواطنون لا زلنا نبحث عن وطن حر، نبحث عن رأي حر نحلم ببرلمان حر...
فهذي الأعياد ليست أعيادنا.. وهذه الاحتفالات ليست احتفالاتنا.. وهذه المهرجانات ليست مهرجاناتنا..وهذه الأحلام ليست أحلامنا..وهذه الانتخابات ليست انتخاباتنا..وهذه المجالس ليست مجالسنا..وهذه

بقلم الطاهر العبيدي

عيد الجمهورية - عيد النصر - عيد الاستقلال - عيد الشهداء - عيد الأمهات - عيد الشجرة...
ما أكثر أعيادنا وما أقلّ أفراحنا.. ما أكثر كلامنا وما أحقر أفعالنا.. ما أضخم طبولنا وما أوضع أعراسنا..ما أكبر مخططاتنا وما أتفه إنجازاتنا..ما أعظم شعاراتنا وما أفظع حقائقنا..ما أكثر حماسنا وما أشدّ هزائمنا..ما أكثر وعودنا وما أضخم همومنا..ما أطول خطبنا وما أبشع أحزاننا..ما أكثر اجتماعاتنا وما أوحش اهتماماتنا..
عيد الجمهورية-عيد النصر-عيد الاستقلال-عيد الشهداء- عيد الشباب- عيد المرأة-عيد الأمهات-عيد الشجرة...
أعياد تمر، أيام تمر، وسنين تمر وأخرى تندثر..ونحن الجائعون أمام حقولنا، نحن المتسولون أمام حقوقنا، نحن المجرمون أمام قوتنا، نحن المذنبون داخل بيوتنا، نحن المنسيون أمام همومنا، نحن المرتعدون أمام قوانيننا، نحن المتكوّمون أمام سجوننا، نحن المرميون أمام مستشفياتنا، ونحن المتناثرون أمام السفارات والقنصليات نحلم بتأشيرة هروب من ذاك الوطن مرميون، متناثرون كما تتناثر أوراق الشجر...
أعياد تأتي، تعود، وتمر، وأيام تمر، وسنين تندثر وبرامج تتمطط وتنتحر، ونحن كما نحن مواطنون نعيش كما تعيش الأنعام وكما تعيش البقر...
أيام تمر، وسنين تندثر، وأعياد تندثر، وبرامج تتمطط وتنتحر، ونحن كما نحن بؤساء نعيش في الكهوف وفي الحفر...
أعياد تمر، وأخرى تعود وتندثر، وسنين تطوى وتنكسر، ونحن خارج التاريخ ننتظر...
عيد الجمهورية، عيد النصر، عيد الشباب، عيد الاستقلال، عيد الشهداء، عيد المرأة، عيد الأمهات، عيد الشجرة، عيد التغيير...بيانات ثورية، بلاغات نحاسية، خطب بركانية، كلمات زجاجية، تظاهرات عاجية، احتفالات اصطناعية، أفراح وهمية، دول افتراضية، أسلحة انقراضية، مؤتمرات بطنية والحصاد مآسي اجتماعية...
أعياد تمر، أيام تمر، سنين تمر، ونحن كما نحن لا تغيير ولا وضع مستقر...
أعياد تمر، وأيام تمر، وسنين تندثر، وأحلام تنمو وتنتحر، ونحن كما نحن بلا رأي، بلا حرية، بلا حقوق ونعامل كما لا يعامل البشر...
أعياد تمر، وأيام تمر، وسنين من أعمارنا تمحى وتندثر ولم نعرف من المواطنة سوى سجونا تهان فيها كرامة الإنسان وكرامة البشر...
أيام تمر، سنين تمر، وأعياد تعود وتندثر، ونحن كما نحن لا زلنا نحلم بحق امتلاك جواز سفر، لا زلنا نحارب من أجل فتات خبز، لا زلنا نحلم أن لا نكتب باسم مستعار ولا بقلم مستتر...
أعياد تمر، أيام تمر، وسنين تنتحر، وكلّ أشياءنا رديئة بالية تقيأتها الأيام ولفظها الزمن...
أيام تمر، وسنين تمر وأعياد تعود وتأتي وتمر، ولا شيء يبعث على الأمل طالما لم يستيقظ الإعلام ولم يتحرر القلم...
أعياد تمر، أيام تمر، وسنين تندثر ونفس الخطاب، نفس الهتاف، نفس العزف ونفس الوتر...
أيام تمر، وسنين تمر، وأعياد تطوى وتندثر وسجونا تدمر الأجساد، تحاصر العقول، وتغتال القيم، وبوليس قابضا على الأعناق وعلى كلّ مصادر الخبر، ومواطن يهدده الضيق، يجتاحه الضجر، وشباب تمضغه البطالة فيرتمي في قوارب الخطر...
أعياد تمر، أيام تمر، وسنين تندثر، وبلدانا كثيرة تنمو وتزدهر، ونحن لا زلنا فعلا مستتر، لا زال خطابنا ميّتا، محنطا يشبه الأصنام ويشبه الحجر...
أعياد تأتي، تتوارى تعود وتمر وأيام تمر وسنين ومناسبات تمر وأخرى تندثر، ولا شيء عندنا تغير سوى وعود وأوهام متناثرة صفراء، عفراء جرداء، يابسة كما أوراق الشجر...
أيام تمر، أعياد تمر، وسنين تندثر ووعود تتهاطل كالمطر، والنتيجة غدر وبؤس وفقر وضياع وتيه ومستقبل يحتضر...
أعياد تمر، أيام تمر وسنين تمر وأعمار تندثر، ونحن كما نحن نحلم أن لا نهان في الإدارات في المعاهد، في الجامعات في المستشفيات، في الطرقات في الحافلات، في الإذاعات في مراكز البوليس وعند كل معابر السفر، ونحن كما نحن مواطنون نحلم بحق الكلام نحلم بحق الانتخاب، نحلم بحق الاختلاف نحلم بحق النقد نحلم باستقلالية الخبر..
أيام تمر سنين تمر أعياد تنتحر ولا شيء عندنا يوحي بالتغيير المنتظر، سوى سجونا تنمو وتزدهر، ومعتقلات وزنازين وقهر واعتداء على المواطن والوطن...
أعياد تأتي وتندثر، أيام تمر، وسنين تمر ونحن المشردون أمام قوتنا، نحن الحزانى أمام سجوننا، نحن المتعبون أمام حدودنا، نحن الغرباء أمام قوانيننا، نحن المشتتون أمام برامج تعليمنا، نحن الزارعون وهم يحصدون، نحن الذين بعرقنا نروي التراب والأرض والحقول وهم يقطفون، نحن المواطنون الذين لا عنوان ولا مقاعد لهم ولا مكان لهم إلا في بيوت الطين والحفر،
نحن المواطنون الذين لا قيمة لهم إلا في قوائم التجنيد وفي مناطق الخطر...
أيام تمر، سنين تمر وأعياد كثر ونحن مواطنون لا زلنا نبحث عن وطن حر، نبحث عن رأي حر نحلم ببرلمان حر...

فهذي الأعياد ليست أعيادنا.. وهذه الاحتفالات ليست احتفالاتنا.. وهذه المهرجانات ليست مهرجاناتنا..وهذه الأحلام ليست أحلامنا..وهذه الانتخابات ليست انتخاباتنا..وهذه المجالس ليست مجالسنا..وهذه الأعلام ليست أعلامنا..وهذه الجيوش ليست جيوشنا.. وهذا الاستقلال ليس استقلالنا..وهذه الأفراح ليست أفراحنا..وهذه الجرائم ليست جرائمنا..وهذه النزل النجومية والمقاهي الراقية الفخمة ليست مقاهينا..وهذه الصحف ليست صحفنا..وهذه القصور ليست قصورنا..

لقد أعطونا الأعياد واختلسوا الأفراح، أعطونا حق الكلام وختنوا فينا اللسان، أعطونا صحفا باهتة وأخذوا منا الحبر والتعبير والأقلام، أعطونا دستورا وانتزعوا منه كل الفصول التي تحترم الإنسان، أعطونا قصورا للعدالة وأخذوا المساواة والإنصاف، أعطونا مستشفيات وأخذوا الرعاية والعلاج، أعطونا تلفزيونا ضريرا لا يبصر تعدد الصور ولا اختلاف الألوان، أعطونا تعددية وأخذوا حرية الاختيار، أعطونا مواعيد كثيرة للانتخاب واستولوا على صناديق الاقتراع، أعطونا عناوين كثيرة وخطبا غزيرة ووعودا طويلة وأخذوا الوطن...

أعياد تمرـ أيام تمر، سنين تندثر، ونحن لا زلنا نبحث عن وطن حر لا زلنا بؤساء نتجرع المر..

" فتكلم يا مواطن فما عاد ينفع السكات
تكلم يا مواطن فعلى ماذا السكات
تكلم يا مواطن وقل ما عاد ينفع السبات
تكلم فعلى ماذا الخوف وماذا بقي لك في هذه الحياة
تكلم يا مواطن وقل ما عاد يعنيني الخطاب
تكلم وقل ما عاد يعنيني الانتخاب
تكلم يا مواطن فها أنت مثلنا تجيد فن الرفض
تجيد فن التحدي تبغض الخطب ومعزوف الكلام
وتنسج عن كل جرح حكاية
وتكتب للحلم أنشودة السفر
فرتّب لنا موعدا في الغمام
فنحن الذين اخترعنا البداية
وأنت الذي سوف ترسم خط النهاية..".